النظر إلى اللغة من جانب وظيفتها الاتصالية، وهذا مفهوم حديث أفضى أولاً إلى توحد العلاقة بين اللغة والتفكير على أساس أن التفكير نوع من السلوك البشري، كالسلوك اللغوي تماماً، ولذلك فإنه لا يجوز التمييز بينهما على أنهما شيئان مختلفان. وهذا هو ما ذهب إليه السلوكي الأمريكي (سكينر) كما ينقل نايف خرما[18]. وهذا معناه أن الفكر ينتج اللغة، كما أن اللغة تنتج الفكر، ولا سبيل لوجود أحدهما دون الآخر. ولكن اعتراضات كثيرة قامت في وجه هذا التصور. والاعتراض فيها يقوم على أساس (أن للغة تأثيراً كبيراً على الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع)، وهذه الطريقة (تختلف عن طريقة تفكير أفراد مجتمع آخر يتكلمون لغة أخرى)[19]. مما يقتضي عدم أسبقية الفكر. ولو كان الفكر هو السابق لما اطرد اختلاف التفكير باختلاف اللغات. ولقد كان هذا الاعتراض باباً للعالم الأمريكي «وورف» ليطرح فرضيته (التي تقول إن البنية اللغوية أو التركيب اللغوي هو الذي يحدد الفكر ويسيطر عليه سيطرة كاملة، ولذلك فإن معرفة البشر بهذا العالم وتجاربهم فيه ونظرتهم إليه ومواقفهم منه تختلف باختلاف اللغات التي يتكلمونها). وهذه النظرية (تعني أنه لا وجود للفكر بدون اللغة)[20].

وهذه فكرة أجد نفسي ميالة إليها مع تحفظ واحد هو أننا لا نجرؤ على نفي الفكر من دون اللغة مطلقاً. إذ الفكر قابل للوجود

(18) خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، 208-216.

(19) المرجع السابق، 216-217.

(20) المرجع السابق، 217، وذكر أمثلة على صدق هذه النظرية.